المادة (الادب العباسي / العصر العباسي الثاني) الكورس الثاني المرحلة الثالثة

العصر العباسي الثاني الكتاب المعتمد (الادب في العصر العباسي للدكتور ناظم رشيد)

المحاضرة الاولى / الشعر القومي

المحاضرة الثانية / وصف الطبيعة

المحاضرة الثالثة / الشعر الصوفي

المحاضرة الرابعة / ابو الطيب المتنبي

المحاضرة الخامسة / ابي فراس الحمداني

المحاضرة السادسة / ابو العلاء المعري

المحاضرة السابعة / النثر : اتجاه الصنعة واتجاه الترسل

المحاضرة الثامنة / كتاب النثر : ابو الفضل بن العميد

المحاضرة التاسعة / ابو حيان التوحيدي

المحاضرة العاشرة / المقامات

المحاضرة الاولى (الشعر القومي)

وقعت الدولة العباسية بعد العز والرفعة والاباء والهمم تحت الحكم البويهي ثم السلجوقي وإن استيلاء الأعاجم على مقاليد الأمور في العصر العباسي الثاني عمل على ظهور الشعر المعبر عن الوعي القومي كان هذا اللون من الشعر معروفا من قبل كما عند أبي تمام والبحتري وان تأزم الأمور في العصر العباسي الثاني عمل على ازدياد هذا اللون من الشعر وشاهدنا قول أبي الطيب المتنبي في مديح سيف الدولة الحمداني الذي يرى فيه رمز الدولة العربية المفقودة مثلا يقول :

رفعت بك اعرب العماد وصيرت قمم الملوك مواقد النيران

انساب فخرهم إليك وإنما انساب أصلهم إلى عدنان

ومن الشعراء العصر العباسي الثاني من نلمس في شعرهم الغيرة ابن نباتة السعدي فتراه يقول :

أأعذر قومي والرماح تلوم وذلك خطب في الزمان عظيم

وقول ابن حيوس

يوم لعمرك لم تزل أخباره مسموعة من منجد آو متهم

عزت به عرب البلاد كعزها بالقادسية يوم مقتل رستم

وكذلك ما قاله الحيص بيص

بني دارم أن لم تغيروا فبدلوا عمائكم يوم الكريهة بالخمر

فان القرى والمدن حيرت لاعبد ولا سلمت أفحوصة لفتى جر

أما الايبوردي قال :

سأطلب العز ولو رفرفت على حواشيه عوالي الرماح

بضربة رعلاء أو طعنة تخاوصت منهما عيون الجراح

وتألم ابن الخياط على ضياع القدس :

انوما على مثل هد الصفاة وهزلا وقد أصبح الأمر جدا

وكيف تنامون عن اعين وترتم فأسهرتموهن حقدا

المحاضرة الثانية (وصف الطبيعة)

الوصف من الموضوعات الشعرية الهامة التي عالجها الشعراء منذ عصر ما قبل الإسلام واخذ يتطور بمرور الزمن واتسعت آفاقه في العصر العباسي .

وقد حضيت الطبيعة بنصيب وافر من الشعر بشقيها إلية والصامتة فال ابن وكيع مثلا في وصف الطبيعة الصامتة واصفا الطبيعة الزاهية :

أسفر عن بهجته الدهر الأغر وابتسم الروض لنا عن الزهر

أبدى لنا فصل الربيع منظرا بمثله تفتن الباب البشر

ولم يترك الشعراء فاكهة إلا وصفوها وصفا دقيقا وشبهوها مثلا على ذلك أرجوزة أبي الحسين الممشوق في المشمش

أما ترى ياخل الأدب مشطبا أكرم بهاتيك الشطب

مثقب الهامات من غير ثقب كأنها بنادق من الذهب

قد صاغها صائغها بلا تعب

واستحسن الشعراء منظر الأنهار يقول القاضي التنوخي :

أحسن بدجل والدجى متصوب والبدر في أفق السماء معرب

وانبهر الشعراء بمنظر الثلج يقول أبو بكر الصنوبري :

ذهب كؤوسك ياغلام فانه يوم مفضض

وقد أحس الشعراء بمنظر الربيع يقول الصنوبري :

الدهر الربيع إذا أتى الربيع أتاك النور والنور

وكذلك ظهر الوصف للديار ومنها الأبيات التالية

هواء كأيام فرط ورقة وقد فقد العشا فيها العواذلا

وكذلك وصف الشعراء الشمعة مثلا :

وندیمه لي في الظلام وحيدة مثلي مجاهدة كمثل جهاد

وقد أبدع الشعراء في وصف الحيوانات ومنها الفيليات:

يزهى بخرطوم كمثل الصولجان يرد ردا

المحاضرة الثالثة (الشعر الصوفي)

يعد الشعر الصوفي من الموضوعات البارزة في العصر العباسي الثاني وقد نما هذا الشعر على أيدي أئمة كبار مثل ذو النون المصري وقد عده ابن التغري بردي رأس الطريقة الصوفية وهو القائل :

حب المحبين في الدنيا بان لهم مع ربهم سببا يدني إلى نسب

قوم جسومهم في الأرض سارية نعم وأرواحهم تختال في الحجب

ومن رواد المتصوفة الحارث بن أسد المحاسبي وكذلك السري قسطي وهو القائل :

من لم يبت والحب حشو فؤاده لم يدر كيف تفتت الأكباد

واشتهر من المتصوفة يحيى بن معاذ الرازي وقال في الحب الالهي:

نفس المحب إلى الحبيب تطلع وفؤاده من حبه يتقطع

وأخذت معالم التصوف تتضح يوما بعد يوم وازداد عدد المتصوفة وكثر مريدهم ومن الجنيد البغدادي وسحنون الخواص وأبو بكر شبلي والحلاج فقد كان الحلاج مثالا للمتصوف المتقشف الذي يرى أن درجة القداسة لا يتم إحرازها إلا بتجرع غصص الآلام ، وان العلاقة الحقيقة بين الله وبين الإنسان هي علاقة حب ليس غير ، وكان يرى أن العالم فيه قوى جاذبية فطرية تحرك المخلوق للقاء الخالق وتحرك الخالق لحب المخلوق ومن آرائه مسالة الحلول والاتحاد يقول :

أنا من أهوى ومن أهوى أنا نحن روحان حللنا بدنا

ان عاطفة الحب والهيام بارزة بشكل واضح في الشعر الصوفي ، وكانت المرأة عند المتصوفة رمزاً يقتضي تشبيه الله بخلقه ، وقد اشتهر به الكثيرون امثال ابي الحسن النوري ، وابي منصور الحلاج ،وسهل بن عطاء زابن العريف والتلمساني السهرودردي وغيرهم ، ومن الامثلة على ذلك قول : أبو بكر الشبلي :

أبدا تحن إليكم الأرواح ووصالكم ريحانها والراح

وكذلك ظهر ابن الفارض وابن العربي ومن شعره :

سلام على سليمى ومن حل بالحمى وحق لمثلي رقة أن يسلما

وايضا كانت الخمرة رمزاً لدى المتصوفة وكانت من رموز الوجد الصوفي والحب الالهي ومن نماذج الشعر على ذلك قول التلمساني :

ادرها لنا صرفا ودع مزجها عنا فنحن اناس لا نرى المزج مذ كنا

وغن لنا فالوقت قد طاب بأسمها لانا اليها قد رحلنا بها عنا

كان المتصوفة يؤثرون الإشارة على العبارة ويعمدون إلى التلميح دون التصريح سترا لحقائقهم وكتما لأسرارهم وغيرة على هذه الحقائق لذلك لا يمكن فهم ألفاظهم ومصطلحاتهم التي لها مدلولات خاصة إلا بالرجوع إلى كتب التصوف .

المحاضرة الرابعة (ابو الطيب المتنبي)

هو ابو الطيب احمد بن الحسين بن مرة بن عبد الجبار الجعفي الكندي الكوفي ، ولد سنة ٣٠٣ه في حي كندة في الكوفة كان فقير الحال في بداية حياته وكان والده يعمل سقاء بالكوفة ولا نعرف شيئاً عن والدته تعلم القراءة والكتابة في الكتاب ، ولم تذكر المصادر انه تعلم على ايدي اساتذة لذلك قال طه حسن (انه نشأ في غير مدرسة وتعلم على غير معلم ، واخذ علمه من الكتب واالصحف) تختلف الاخبار في مسألة نبوته منها ما يؤيدها ومنها ما ينفيها وهي على ثلاثة اراء :

الرأي الأول يرى انه لم يجد حرجا أن يشبه نفسه بالأنبياء وقد روى المعري بعض أخباره تلك وقيل انه لم ير حرجا أن يشبه نفسه بالأنبياء مثل قوله في أول شبابه :

ما مقامي بأرض نخلة إلا كمقام المسيح بين اليهود

أنا في امة تداركها الله غريب كصالح في ثمود

والممعن في هذين البيتين لا يرى فيهما دعوة إلى النبوة بل يشبه نفسه وهو مقيم بين قوم يعتقد أنهم أعداؤه بالمسيح عليه السلام حين أقام بين اليهود .

والرأي الآخر يرى أن اللقب جاء من خصومه وحاسديه وبقى مشتهرا به وقد نفى عن نفسه هذه التهمة ولم يرض بها أما من ذهب إلى انه من النبوة او النباؤة أي المرتفع فلعل فيه شيئا من الصحة إذ كان معجبا بشجاعته وأدبه وهذا ما يؤكده قوله :

أي محل ارتقي أي عظيم اتقي

كل ما قد خلق الله وما لم يخلق

محتقر في همتي كشعرة في مفرقي

تكلم المتنبي في كل الموضوعات ففي المديح مدح الكثير وابرز مديحه جاء في سيف الدولة الحمداني إذ يقول : وما قست كل ملوك الأرض فدع ذكر بعض بمن في حلب

وكذلك قوله في بدر بن عمار :

يابدر يابحر ياغمامة يا ليث الشرى ياحمام يارجل

أما هجاؤه جاء هذا الغرض ليعبر عن ضيق والضجر الذي مر به المتنبي حينما لم ينل ما كان يصبو اليه من بعض الممدوحين فمثلاً يقول في إسحاق بن إبراهيم :

ومن البلية عدل من لا يرعوي عن غيه وخطاب من لا يفهم

وله أهاج في كافور الإخشيدي :

إني نزلت بكذابين ضيفهم عن القرى وعن الترحال محدود

أما رثاؤه جاء اجله في رثاء جدته :

لك من الله من مفجوعة بحبيبها قتيلة شوق غير ملحفها وصما

ويقول في أخت سيف الدولة :

يا أخت خير أخ يابنت خير أب كناية بهما عن اشرف النسب

وفي الغزل قال في الغزل العذري :

ارق على ارق ومثلي يأرق وجوى يزيد وعبرة تترقرق

وكان يحب الجمال البدوي :

ما أوجه الحضر المستحسنات به كأوجه البدويات الرعابيب

أما وصفه ففيه الكثير يقول مثلا في وصف الربيع :

غدونا تنفض الأغصان فيها على أعرافها مثل الجمان

ووصف الحمى :

وزائرتي كان بها حياء فليس تزور الا في الظلام

وفي الفخر لديه أشعار كثيرة منها :

لا بقومي شرفت بل شرفوا بي وبنفسي فخرت لا بجدودي

ويقول :

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي وأسمعت كلاماتي من به صمم

أما حكمه فتراه يقول :

من يهن يسهل الهوان عليه مالجرح بميت إيلام

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وان أنت أكرمت ال

مميزات شعره

١- استطاع المتنبي أن يجمع بين الصنعة والطبع وان يوفق بين الإحساس والخيال وان يوائم بين العلم والتجربة ويلائم في اغلب شعره بين المطلع والتخلص والخاتمة والميل إلى الأسلوب الخطابي يقول :

يرتشفن من فمي رشفات هن فيه أحلى من التوحيد

٢- ومن مميزات شعره التماسك الشديد والترابط الوثيق وتسلل الأفكار وتناسقها وتأييدها بالحجج المنطقية والبراهين العقلية مثل قوله :

يا اعدل الناس إلا في معاملتي فيك الخصام وأنت الخصم والحكم

أعيذها نظرات منك صادقة أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورم

٣- يلاحظ انه أحياناً إلى التعقيد واستخدام الألفاظ الغريبة والتصرف في اللغة يقول :

جرى الخلف إلا فيك انك واحد وانك ليث والملوك ذئاب

٤- أما موسيقى شعره فكان رائعا وقد جاء ذلك في اختياره الجيد للأوزان والقوافي وملائمتها للألفاظ والمعاني إلى جانب استخدام بعض الألوان البديعية كالجناس وحسن التقسيم :

فالخيل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم

المحاضرة الخامسة (ابو فراس الحمداني)

هو الحارث بن سعيد بن حمدان ، غلبت عليه كنيته (ابو فراس) وهي كنية الاسد حتى كاد لا يعرف الا بها ولد في مدينة الموصل سنة ٣٢٠ه ولم يحظ برعاية ابيه لأنه قتل سنة ٣٢٣ه وكان واليا على الموصل من قبل الخليفة المقتدر وتربى في بلاط ابن عمه سيف الدولة الحمداني امير حلب ، عاش في بلاط الامارة بحلب معززا مكرما ، وحينما اشتد ساعده اتجهن نفسه الى الامارة وهو في سن السادسة عشر من عمره فقلده سيف الدولة منبج وحران ، تعددت مظاهر حياته بعد توليه الحكم فنراه تارة يقارع البيزنطيين ويذود الديار من هجماتهم ، وتارة يلهو ويتصيد او يجلس مع الادباء ويروى انه وقع في الاسر سنة ٣٥١ه في اثناء خروجه للصيد ، اذا التقى بابن اخت ملك الروم الذي خرج في الف فارس الى نواحي منبج فوقعت بينهما معركة غير متكافئة العدد والعدة ، وهنا وقع اسيرا بيد الروم هو ومجموعة معه من المقاتلين فكتب قصيدة يعاتب بها سيف الدولة فتراه يقول :

اين المعالي التي عرفت بها تقولها دائما وتفعلها

تم فداؤه ثم خرج فعاد الى حلب ليعيش بين اهله وناسه ، وشاءت الاقدار ان يتوفى سيف الدولة وهنا اخذ يتطلع اللا الامارة فدخل الى حمص واقام بها يصرف امورها مما اوغر عليه صدر ابا اخته ابي المعالي بن سيف الدولة حتى غدر به وقتله سنة ٣٥٧ه .

ابرز موضوعات أبي فراس الحمداني الفخر بقومه يقول :

لئن خلق الأنام لحسو كأس ومزمار وطنبور وعود

ومن الفخر بنفسه :

سلي فتيات الحي عني يقلن بما رأين وما سمعنه

ومن موضوعات شعره المديح يقول :

لسيف الدولة القدح المعلى إذا استبق الملوك إلى القداح

أما في الرثاء قوله :

ما أنا ابكيه ولكنما تبكيه أطراف القنا الذابل

وله في الوصف قوله :

انظر إلى زهر الربيع والماء في برك البديع

ولعل رومايته التي نظمها حينما كان اسيرا في بلاد الروم اشهر ما قاله ، قال عنها بلاشير انها قصائد ممتازة ببساطتها وجزالتها وتمتاز بالعاطفة الانسانية التي تسودها وهي التي جعلت ابا فراس سيد العاطفة الانسانية ليس في عصره وحسب بل في كافة عصور الادب العربي) ولعل اجمل رومية تحمل دفق العاطفة وفيض الخاطر قوله :

أراك عصي الدمع شيمتك الصبر أما للهوى نهيا عليك ولا أمر

بلى انا مشتاق وعندي لوعة ولكن مثلي لا يذاع له سر

أما مميزات شعره على العموم وجداني يتسم بالعذوبة واليسر وقوة التأثير في المتلقي وحسبنا قول أبي منصور : شعره مشهور سائر بين الحسن والجودة والسهولة والجزالة والعذوبة والفخامة والحلاوة والمتانة ومعه رونق الطبع وسمة الظرف وعزة الملك ولم تجتمع هذه الخلال قبل إلا في شعر ابن المعتز .

المحاضرة السادسة (ابو العلاء المعري)

هو احمد بن عبدالله بن سليمان ، ولد يوم الجمعة سنة ٣٦٣ه، في معرة النعمان ، حرم ابو العلاء من نعمة البصر وهو في الرابعة من عمره بعد اصابته بمرض الجدري ، كان والده المعلم الاول له ، اذ رسم له طريق الدرس وتحصيل العلم ، انتقل الى حلب واتصل بكبار العلماء وكذلك اتصل بتلاميذ الفارابي و تلقف منهم علوما في الفلسفة ، لما بلغ عمره ٣٥سنة قام برحلة اللا بغداد سنة ٣٩٨ه ولاقى هناك حفاوة استقبال ، بعدها رجع الى المعرة وعزل نفسه وسمي نفسه رهين المحبسين اي العمى ولزوم البيت فقال :

اراني في الثلاثة من سجوني فلا تسال عن النبأ النبيث

لفقدي ناظري ولزوم بيتي وكون النفس في الجسد الخبيث

وبذلك اضاف سجنا ثالثاً وهو الحياة ذاتها اي كون نفسه محبوسة في جسده ، ويبيدو ان صدقه وصراحته خلقا له مشكلات واستفزا الكثيرين من حساده لرميه بالتهم وتحريض الناس عليه لذا اثر العزلة والاعتكاف في منزله .

لبث تسعاً واربعين سنة في محبسه بمعرة النعمان ، لم يغادره الا مرة واحدة لم تتكرر حين حمله قومه على الخروج ليشفع لهم لدى اسد الدولة صالح بن مرداس ، ليخمد حركة عصيان ، جلس في دراه على طريقة القلاسفة المتقشفين منصرفا الى التاليف والتصنيف ، طال به العمر حتى توفى سنة ٤٤٩ه.

اثاره : مصنفات ابي العلاء كثيرة نذكر منها رسالة الصاهل والناهج ، رسالة الملائكة ، رسالة الغفران ، زجر النابح ، عبث الوليد ، ملقى السبل ، سقط الزند ، اللزوميات .

شعره : لقد توزع شعره في سقط الزند ، اللزوميات ، الدرعيات ، يعد سقط الزند ديوان شعره ، ويمثل نتاج شعره ، وقد سماه بسقط الزند تشبيهاً بالشرر الذي يتطاير من الزند ، تناول كل الموضوعات عدا الهجاء والعبث والمجون والخمر والغزل بالمذكر .

اما اللزوميات في قصائد قالها بعد عودته من بغداد تناول بها الحديث عن مشكلات الحياة وانتقادها وبث فيها اراءه الخاصة بالحياة وسميت باللزوميات لانه الزم نفسه باربعة كلف التزم في قوافيها حرفاً لا يلزم قبل حرف الروي ، ونظم حروف المعجم كلها مرتبة ، واستوفى في كل حرف الحركات الثلاث والوقف ، ورتب الاوزان في كل فصل من فصولها على ترتيب الدوائر والبحور عند العروضيين .

ومن موضوعات شعره ، الرثاء فتراه يقول في رثاء والدته :

مضت وقد اكتهلت فخلت اني رضيع ما بلغت مدى الفطام

فياركب المنون اما رسول يبلغ روحها ارج السلام

وقال في رثاء والده :

فهل انت ان ناديت رمسك سامع نداء بابنك المفجوع بل عبدك القن

ونجد في شعره الفخر

الا في سبيل المجد ما انا فاعل عفاف واقدام وحزم ونائل

وفي الوصف فتراه يقول :

ليلتي هذه عروس من الزنج عليها قلائد من جمان

وفي الغزل قوله :

حي من اجلهن الديارا وابك هندا لا النؤي والاحجارا

وله في نقد المجتمع واهل السلطة :

يسوسون الامور بغير عقل فينفذ امرهم ويقال ساسة

فأف من الحياة واف مني ومن ومن رئاسته خساسة

اراء التي قيلت في شعره

- الدكتور ناظم رشيد : ان نظمه صورة واضحة لحياته وتأملاته ، رسمها بصدق وامانة وصراحة ، وشعره قبل الغزل المتمثل بسقط الزند قريب من شعر الشعراء السابقين المجودين في الصياغة والتنسيق والصورة الشعرية
- اما ابن حجر يقول ((واشعاره في المدح والغزل والرثاء التي في سقط الزند في نهاية الجودة واما في لزوم ما لايلزم فمتوسط)).
- اما شعره في عزلته المتمثل باللزوميات الذي يتناول فيه موضوعات عامة شغلت عقول الناس آنذاك فيغلب عليه التصنع ويفتقر الى البهجة الفنية . وهو صعب الاسلوب كثير الغريب والشاذ من الالفاظ ، محشو بالمصطلحات العلمية .
- اما ابن سنان الخفاجي يقول ((وليس يفتقر للشاعر الى النظم على هذا الفن لأجل ما الزم نفسه ما لا يلزمه شيء من عيوب القوافي ، لأنه اذا فعل ذلك يكون طوعا واختيارا من غير الجاء ولا اكراه ، ونحن نريد الكلام الحسن على اسهل الطرق وليس بنا حاجة الى المتكلف المطرح))
- اما شوقي ضيف يقول ان ابا العلاء لم يكن يعني بتجويد شعره وحبيره في اللزوميات فهو لا يعطيه المهلة الكافية للصقل والانتخاب ، فخرج شعره مهلهلا ضعيف النسج فيه شيء من الحبكة التعبير ولا جمال التصوير .

المحاضرة السابعة (اتجاه الصنعة واتجاه الترسل)

تطور المجتمع في العصر العباسي الثاني تطورا كبيرا وقد اخذ بأسباب الزينة والأناقة والترف في اطر الحياة المختلفة وقد تحدث المؤرخون عن بذخ الكثيرين آنذاك والإقبال الشديد على التجمل من ذلك ما يرويه أبو فرج في وصفه لدار الخليفة الواثق يقول أفضيت إلى دار مفروشة الصحن ملبسة الحيطان بالوشي المنسوج بالذهب ثم أفضيت إلى رواق أرضه وحياته ملبسة بمثل ذلك ودخل التأنق والتزين إلى الأدب شعرا ونثرا فجعل الشعراء شعرهم كبرود كالحلل والمعاطف والديباج والوشي .

ودخل التأنق والتزين الادب شعرا ونثرا ، فجعل الشعراء شعرهم ((كبرود العصب وكالحلل والمعاطف ، والديباج والوشي ، واشباه ذلك) وكذلك الكتاب ولا سيما الذين يعملون في الدواوين فانهم زينوا نثرهم وجملوه بحلي البديع حتى اصبحنا منهم الا ما ندر من لا يتخذ السجع وسيلة في تدبيج كتابته وتبهيجه .

وكان القائمين على الأمارات آنذاك دور فعال في تنشيط الكتابة واجتذاب كبار إلى مجالسهم ومحافلهم فنجد عند البهويون ابن العميد والصاحب بن العباد وعند الساسانيين على بن محمد وغيرهم .

وكلما تقم الزمن نجد انثر يزداد ولوعا بقيود الصنعة وأغلال التعقيد كما في كتابات أبي العلاء المعري ولا سيما في رسالة الغفران وكتاب الفصول والغايات .

وبلغ التصنع والتعقيد غايته في القرن السادس للهجرة ولعل من اشهر الموغلين في ذلك يحيى بن سلامة الحصفكي الذي أكثر من الجناس بأنواعه فهو يقول في إحدى كتاباته : النفس بعقود التذرع حالية ولقعود التعذر حائلة ومن الودائع المعجزة مالية إلى الدواعي المزعجة مائلة .

وممن اهتم بالصنعة وبالغ فيها في القرن السادس للهجرة أيضاً القاضي الفاضل وعماد الدين الكاتب .

من الكتاب في العصر العباسي الثاني له طريقة أخرى في الكتابة وذلك بالابتعاد عن الصنعة والتعقيد إذ مال إلى الأسلوب المرسل الذي يعنى باللفظ والمعنى على حد سواء ولا يفطرط بأحد الطرفين على حساب الطرف الآخر ويأخذ ضروبا من البيان والبديع على سبيل الاتفاق لا سبيل التعمل والتكلف والتقصد وقد ارسي قواعد هذه الطريقة وأشاعها الكاتب العربي الكبير الجاحظ وجاء بعده كتاب آخرون ساروا على هديه ومن اشهرهم ابن القتيبة والعسكري والباقلاني والتوحيدي وهو اشهرهم والجرجاني ومن ابرز مزايا هذه الطريقة وضوح الألفاظ وسهولتها وفصاحة العبارات ورصانتها وبعدها عن الركة والابتذال والموازنة بين الألفاظ والمعاني وربط الأفكار وتنظيمها في سياق جميل وديباجة مشرقة بلا حشو ولا فضول والاستناد إلى القراءة المنهجية كصحة التقسيم وتخير اللفظ وترتيب النظم وتقريب المراد ومعرفة الوصل وتوخي الزمان والمكان ومجانبة العسف والاستكراه .

المحاضرة الثامنة (ابن العميد)

هو ابو الفضل محمد بن الحسين ، الملقب بابن العميد من بيت علم وفضل كان ابوه كاتبا مشهورا في خراسان ، تربى ابن العميد في جو علمي وادبي تتلمذ على يد الكثيرين من علماء عصره توفي سنة ٣٦٠ه من مؤلفاته ديوان رسائله ، وكتاب المذهب في البلاغات ومجموع شعره .

فنه الانشائي

قال عنه أبو منصور الثعالبي أوحد أهل العصر في الكتابة يضرب به المثل في البلاغة وينتهي إليه في الإشارة بالفصاحة والبراعة مع حسن الترسل وجزالة الألفاظ وسلاستها إلى براعة المعاني ونفاستها.

ومن الدارسين المحدثين زكي مبارك يقول : كان ابن العميد أماماً لكتاب القرن الرابع وما نظن انه ادخل في فنون الكتابة ما ادخله عبد الحميد ولكنه يمتاز بإعزاز اللم ورفعه إلى ارفع الدرجات فأننا حين نقرأ نثره نجد انفسنا امام عظمة عقلية يخر لها الجبابرة ساجدين وهو حين يكتب لا يطالعك بفنه كما يفعل معاصروه وانما يطالعك بقلبه وروحه وعقله بحيث تبدو كل كلمة من كلماته وكأنها فلب يخفق .

اما الدكتور ناظم رشيد يرى ان في القولين السابقين شيء من الاطراء والاعجاب فالمتأمل في كتابات ابن العميد التي وصلت الينا يجدها قد اخذت بقسط وافر من الصنعة التي اثقلت كاهل الانشاء العربي .

يقول عنه الدكتور شوقي ضيف كان ابن العميد يسجع في كتاباته ، ولكن ليس هذا ما يلفتنا عنده إنما الذي يلفتنا عنده أن مذهب التصنع تماثل على يديه في الصورة التي كانت تنتظره منذ القرن الثاني ونقصد السجع من جهة والاحتكام الى البديع فيما ينشي الكاتب من جهة اخرى ومن اجل ذلك قلنا ان ابن العميد هو استاذ مذهب التصنيع بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة لم نبعد .

وخير ما نستشهد به في ولوعه بالسجع وعنايته بالبديع التي كتبها الى ابن بلكا : كتابي وانا مترجح بين طمع فيك وبأس منك واقبال عليك واعراض عنك فانك تبدل بسابق حرمة وتمت بسالف خدمة ايسرهما يوجب رعاية ويقتضي محافظة وعناية ثم تشفعها بحادث غلول وخيانة))

والرسالة تسير الى نهايتها على هذا النمط تتحلى بالجناس والطباق وتتكيء على السجع في نهايات فقراتها وتوازن بين كل لفظة وقرينتها في العبارتين المتجاورتين

ونرى ابن العميد احيانا معتدلاً في صنعته يمزج السجع بغير السجع ، فيأتي اسلوبه لطيفاً مقبولاً مثل قوله في شهر رمضان " اسال الله ان يعرفني بركته ويلقيني الخير في باقي ايامه وخاتمته وارغب اليه في ان يقرب على الفلك ذوره ويقصر سيره ويخفف حركته ويعجل نهصته وينقص مسافة فلكه ودائرته .

ولابن العميد حكم وامثال استخرجا العارفون من رسائله منها : الرتب لا تبلغ الا بتدرج وتدرب ولا تدرك الا بتجشم كلفة ونصب ، رأس المال خير من الربح والاصل اولى من بالعناية من الفرع ، المرء اشبه بزمانه ، وصفة كل زمان ممن تنسخة من سجايا سلطانه .

وخلاصة القول ان ابن عميد تتميز كتاباته بميزتين : اولهما السجع وكان السجع معروفا من قبله في الدواوين العباسية منذ اول القرن الرابع للهجرة والثاني لم يكن متبعا قبله وهو استخدام المحسنات البديعية مع السجع فالسجع وحده لا يكفي بل لا بد ان تضاف اليه الاستعارة او الجناس او الطباق وما الى ذلك من المحسنات البديعية .

المحاضرة التاسعة (ابو حيان التوحيدي)

هو علي بن محمد بن العباس التوحيدي في بغداد سنة ٣١٠ه ويلقب بالتوحيد نسبة الى التمر المعروف بالتوحيد الذي كان يبيعه والده اتصل بكبار العلماء وتعلم على ايديهم توفى سنة ٤١٤ ه .

مؤلفاته : له كتب كثيرة منها : الإشارات الإلهية ، بصائر القدماء وسرائر الحكماء ، الإمتاع والموانسة ، ثلاث رسائل ،مثالب الوزرين ، الصداقة والصديق

اسلوبه في الكتابة

كان ابو حيان يخطو خطو الجاحظ في اسلوبه ، ويتتلمذ على مدرسته البيانية التي اقام قواعدها في القرنيين الثاني والثالث للهجرة ، ولقد اطراه في كثير من كتبه فقال عنه انها الدر النثير واللؤلؤ المطير وعن رساله انها الافنان المثمرة والرياض الزاهرة .

أن أميز خصائص أسلوبه التناسب بين الألفاظ والمعاني وحسن الربط بين الأفكار والبعد عن التعقيد فهو يقول : علينا بالطبع اللطيف والمأخذ القريب والتأليف الحل والسبوطة الغالبة واللفظ المونق والتأليف الحلو والموالاة المقبولة للقريحة الموفورة على فضل الادب الجيد

وقال ايضا : والسر كله ان تكون ملاطفا لطبعك الجيد ومسترسلا في يد العق البارع ومعتمدا على رقيق الالفاظ وشريف الاغراض مع جزولة في معرض سهولة ورقة في حلاوة البيان مع مجانبة المجتلب وكراهة المستكره .

لقد عني ابو حيان بالمعاني كما عني بالألفاظ ولم يفرط بالبلاغة العربية التي تطلب جمال العبارة ووضوح الدلالة وقد أصاب الدكتور شوقي ضيف إذ قال فيه : وكانت المكتبة العربية قد ألقت بكنوزها بين يديه في إثناء وراقته ونسخه فراعه أسلوب الجاحظ وأدبه اذ رآه يوازن موازنة دقيقة بين الاداء الصوتي والمعاني مستخدما اسلوب الازدواج الذي عرف به وقد يتخلله في الحين البعيد السجع ولكن دون التزامه ودون الاكثار منه فاستقر هذا الاسلوب في نفس ابي حيان واصبح جزءا لا يتجزأ من ادبه ، ويبلغ فيه ذروة من الجمال الصوتي لعلها لا تقل جمالا عن نظريتها عند الجاحظ ، وهو يتسع اتساعا واضحا في اسلوبه بالترادف وما يتبعه من التقطيع الصوتي .

أن لأبي حيان طبعا دافقا وفكرا سابقا لم يتخذ السجع أسلوباً إلا في كتاب واحد من كتبه وهو الإشارات الإلهية أما في سائر ترسله فقد لزم الأسلوب المتوازن على طريقة الجاحظ ، فمن الاسلوب المسجوع اليك قوله : يا حافظ الاسرار يا مبسل الاستار ويا واهب الاعمار ويا منشيء الاخبار ويا مولج الليل في النهار ، ويا معافي الاخيار ويا مداري الاشرار .

ومن اسلوبه الذي لم يتقيد بالسجع قوله : قال ابن سعدان فصل حديثك بحديث اصحابنا الشعراء وصف لي جماعتهم واذكر لي بضاعتهم وخص كل واحد منهم ، قلت لست من الشعر والشعراء في شيء واكره ان ان اخطو على دحض واحتسي غير محض .

ومن اراء النقاد فيه : قال عنه حسن السندوبي : وكان من خصائصه احتذاء الجاحظ في التفنن في كل شيء مطبوعا على ذلك الى حد الاقصى غير انه اولع بوضع الاحاديث والاسمار ووقائع التاريخ في الصورة الروائية فلا يكتفي بإيراد الحادث على ما عرف وتناقله الرواة بل يعرض له ويرسل صيبا مدرارا من فائض بلاغته .

وقال عنه ياقوت الحموي : كان متفننا في جميع العلوم من النحو واللغة والادب والفقه والكلام على رأبي المعتزلة وكان جاحضيا يسلك في تصانيفه مسلكه ، فهو شيخ الصوفية وفيلسوف الادباء واديب الفلاسفة .

المحاضرة العاشرة (المقامات)

يرى ابن منظور أن المقامة بالفتح المجلس والجماعة من الناس وكلا المعنيين نجدهما في شعر ما قبل الإسلام إذ جاءت بمعنى المجلس كما في قول زهير :

وفيهم مقامات حسان ووجوهم أندية ينتابها القول والفعل

ووردت بمعنى الجماعة منها قول لبيد :

ومقامة غلب الرقاب كأنهم جن لدى طرف الحصير قيام

والمجلس في الغالب تدور فيه أحاديث للمسامرة وقد كانت للعرب قبل الإسلام مجالس سمر يتحدثون فيها بقصص الجن والحيوان ويتحدثون بالمواعظ والأمثال وفي العصر الإسلامي نجد الكلمة تستعمل بمعنى المجلس يقوم فيه شخص بين يدي خليفة أو غيره وفي العصر الحديث تستخدم بمعنى المحاضرة .

وفي الاصطلاح هي مصطلح أدبي تطلق على نوع من الكتابة الفنية على شكل أقصوصة منمقة في ألفاظها وأسلوبها فيها شيء من الحوار تعتمد في الغالب على راو واحد وبطل أديب متحايل يراد بها وصف حالة نفسية أو مفارقة أدبية أو مسألة دينية أو قضية علمية وتنطوي على لون من ألوان النقد أو التهكم أو السخرية أو التصحيح والتقويم أو الثورة ويعد بديع الزمان أول من أعطى للمقامة معناها الاصطلاحي .

نشأتها :

اختلف النقاد في الذين أرخوا للمقامة وتضاربت الآراء في تعيين مبتدع للمقامات الأول يقول ان ابا عثمان عمر بن بحر الجاحظ هو المنشيء لها في رسالته التربيع والتدوير والثاني يقول ان ابا بكر محمد بن الحسين الازدي هو مبتكرها والسابق لها والثالث يقول : إن المبتكر الأول لها هو احمد بن فارس اللغوي ورابع الآراء يرى ا ن ابا حيان التوحيدي هو مبتكرها والرأي الراجح أن مبتكرها بديع الزمان الهمذاني :

أصحاب المقامات :

أبو الفضل احمد بن الحسين الهمذاني

أبو الإصبع عبد العزيز بن تمام العراقي

أبو نصر عبد العزيز بن عمر المعروف بان نباتة

أبو الحسن المختار بن عبدون

أبو نصر عبد الله بن محمد بن الحسين

أبو حميد محمد الغزالي

الحريري

موضوع المقامات

تنوع موضوع المقامات على حسب طبيعة العصر وظروفه ، فبعد ان ساءت الاوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية وسيطرة الاعاجم على مقاليد الامور وتفشى الظلم والفساد الى جانب الفقر والعوز اصبح الكثيرون من ابناء المجتمع فبي حالة عوز وتقشف مما اضطر الى بعض الادباء والعلماء الى الاحتيال والتحامق والاستجداء وقد صور بديع الزمان هذا الواقع والوضع المزري تصويرا تطغى عليه روح الدعابة والمرح والفكاهة ، والى جانب هذا الموضوع نجد موضوعات اخرى تأخذ طابعا ثقافيا من ذلك مقامات في النقد الادبي مثل العراقية والشعرية والقريضة ومنها دينة وعظية في النصح والارشاد واتباع الخلق مثل الاهوازية والوعظية ومنها وصفية .

أما أسلوب المقامات :

شاعت الصنعة في الكتابة العربية في القرن الرابع للهجرة شيوعا كبيرا وتسرب اثرها الى المقامات حيث نجد بديع الزمان الذي يعد الرائد في اشائها يأخذ نصيباً كبيراً من الاساليب البلاغية المصنعة ويدخلها بذكاء وقدرة فائقة في مقاماته ولا سيما السجع والجناس والتصوير ونراه احيانا يكثر من الالفاظ الغريبة على نحو ما جاء بالمقامة النهدية ويحشد فيها الشعر الذي يطول احيانا كما في البشرية والامثال العربية ، ويورد اطرافا من المعارف كثيرة في اللغة العربية وآدابها .

اما الحريري نجده اكثر ايغالا في استخدام فنون البديع وامعانا في تناول غريب اللغة وقال عنه الاصبهاني قد اعجز الفصحاء بصناعته وابر على البلغاء ببراعته وبلغ السماء ببلاغته .

وعموما يمكن القول تكمن في استخدام المحسنات البديعية كالجناس والتصوير الإكثار من الألفاظ الغريبة والاقتباس من القرآن الكريم والأحاديث النبوية والأمثال العربية إيراد أطراف من معارف كثيرة الإكثار من الجمل الاعتراضية والترادف في اللغة واختتام المقامة في بعض الأحيان بأبيات تكون من نظمه أو نظم شعراء آخرين .

نص من المقامة البغدادية :

حدثني عيسى ابن هشام : اشتهيت الآزاد وأنا ببغداد وليس معي عقد على نقد فخرجت انتهز محاله حتى أحلني الكرخ فإذا أنا بسوادي يسوق بالجهد حماره ويطرف بالعقد أزاره فقلت ظفرنا والله بصيد وحياك الله أبا زيد من أين أقبلت وأين نزلت ومتى وافيت وهلم إلى البيت فقال السوادي لست بابي زيد ولكني أبا عبيد فقلت نعم لعن الله الشيطان وابعد النسيان